التطبيق (11)

المدةُ: ساعة
الفئةُ المُستهدفةُ: طلبة السنة الثانية ليسانس ل م د

نظرية الأجناس الأدبية

تعتبر التراجيديا والكوميديا أنواعا أدبية، نشأتا في الأصلِ من محاولات تلقائية فجّة، الأولى من أغاني الدثرامب الدينية، والثانية من الأغاني الجنسية التي سادت الكثير من الاحتفالات في معظم المدن الإغريقية.

ولكن كلاّ منهما تطور بعد ذلك، وبمحاولات متتابعة نحو أشكالها النهائية.

فالتراجيديا قد استقرت في شكلها الكامل بعد محاولات كثيرة، فنجد "إسخليوس" في بادئ الأمر قد أضاف ممثلا ثانيا، واختصر الكورس بجعل الحوار العنصر الرئيسي في التراجيديا، ونجد "سوفوكليس" يزيد عدد الممثلين إلى ثلاثة، ثم يُضيف المنظَرَ المرسومَ.

ولقد كانت هناك عدّة محاولات قبل أن تتخلص التراجيديا من القصة الخرافية البسيطة: الأسطورة أو الأحدوثة، وقبل أن تتخلص أيضا من اللغة المعقّدة غير الطبيعية التي بدأت بها.

فلغة التراجيديا كانت في الأصل لغة طقوس مشعوذة، ولكن عندما أصبح الحوار العنصر الرئيسي في التراجيديا أشارت الطبيعة نفسها إلى اللغة المناسبة، فأصبحت التراجيديا تُصاغُ في البحر الإيامبي؛ لأنّ هذا البحر هو أكثر بحور الشعر قُربًا إلى اللغة التي يتداولها الناس في حياتهم العادية.

وبالتالي فالكوميديا محاكاة لأفعال أناس سيئين، لا من ناحية كونهم يتصفون برذيلة أو أخرى، بل من ناحية كونهم مضحكين، فالمضحك نوع من أنواع النقص أو العيب، ولكنه

عيب لا يدمر ولا يؤلم، فالوجه المضحك مثلا وجه قبيحٌ، ولكن ليس بالدرجة التي تدعو إلى الألم.

وقد نشأت الكوميديا كعروض خاصة، يتطوع بها أصحابها، ومضى وقت طويل قبل أن يُعتَرف بها رسميا، ويُسمحُ لعُروضها بأن تكون عامة.

سجّل التاريخ أسماءَ وأعمال كُتّاب الكوميديا، بعد أن أصبحت شكلاً أدبيًا له مميزاته.

أمّا الشعر الملحمي فيتفق مع التراجيديا، في كونه محاكاة لأشخاص عُظماء عن طريق الكلمة، ولكنه يختلف في الطريقة والأسلوب؛ إذ يتبع الأسلوب السردي، والملحمة تختلف عن التراجيديا أيضا من ناحية الطول.

فالتراجيديا تحدُّ نفسها بحدود زمنية أقصاها أن يقع الحدث في يوم واحد، ولكن زمن الملحمة لا حدود له، وإنْ كانت التراجيديا في مبدئها، وقبل أن تتطور تسيرُ على نفس النمط.

وتتفق الملحمة والتراجيديا أيضا في بعض العناصر المكوّنة لكل منهما، وإن كانت بعض هذه العناصر تختصُ بها التراجيديا وحدها.

ولذلك فالناقد الذي يستطيع بالطبع أن يحكم على الملحمة؛ لأن كل عناصر الملحمة توجد في التراجيديا، وإن كان العكس غير صحيح؛ لأن عناصر التراجيديا لا توجد كلها في الملحمة.

والتراجيديا في مفهومها هي محاكاة لفعل مهمٍ كاملٍ، له حيّزٌ مناسبٌ بلغةٍ بها متعة، يتمُّ هذا الفعل بطريق السردِ، بهدف إثارة الشفقة والفزع، لكي تصل بهذين الشعورين إلى درجة النقاوة والصحة.

للتراجيديا مقومات تُحاكى بالتمثيل (التصوير)، ولذلك فالمنظر جزءٌ من أجزائها بطبيعة الحل، وكذلك الموسيقى والنظم، فكلاهما من وسائل المحاكاة.

ولما كانت التراجيديا محاكاة لفعلٍ، وكان هذا الفعل يشترك فيه أُناس، لهم بالضرورة من الطِباعِ والعواطفِ ما يُميّزهم عن غيرهم؛ لأنّ الفعل إنّما يستمدُ كيانهُ من هذه السمات المميزة، لذلك لابدّ في التراجيديا من وجود الطِباع والعواطف كالأصلِ، والسببُ في الفعلِ، وبالتالي في السعادة أو الشقاء.

وفي التراجيديا أيضا لابدّ من وجود القصة؛ لأنّ محاكاة الحدث لا تكون إلاّ بالقصة، والذي نعنيه بالقصة هو ترابط الحوادث معا، بحيث تكون بناءً مُحكَمًا.

مصادر ومراجع:

1- شكري عزيز الماضي: في نظرية الأدب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
2- عبد المنعم تليمة: مقدمة في نظرية الأدب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، سبتمبر 1997.